ISSN/ 2788-9777

المجلة العلمية لجامعة سيئون

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية - ، تعنى بنشر البحوث العلمية في مجالات العلوم الإنسانية والتطبيقية . تصدرها نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي

المجلد الثالث العدد الثاني ديسمبر ٢٠٢٢م

فقه التعامل مع الواقع من خلال قصة ذي القرنين

يحيى مقبل صالح الصباحي*

ملخص البحث:

يتناول البحث فقه التعامل مع الواقع من خلال قصة ذي القرنين، ويناقش إشكالية ضعف الفهم لدى بعض المسلمين في عدم إدراك التعامل مع الواقع مما أدى إلى الوقوع في مزالق كثيرة أبرزها الاصطدام به ، وأقلها ضعف التأثير والقدرة على تغييره، ويسعى البحث إلى بيان نظرة القرآن الكريم لفقه الواقع ، والتعرف إلى أهم ركائزه واستنباط آثاره من خلال منطلقات القصة وركائزها . و اعتمد الباحث على المنهج التحليلي و الاستنباطي ، وخلص إلى أن قصة ذي القرنين جسدت فقه التعامل مع الواقع في صورة واضحة بينه وتركت آثارًا في الإيمان والدعوة والسلوك وأوصى البحث، بمزيد من البحوث عن القصص القرآني ونظرية القرآن الكريم في التعامل مع الواقع ، ومعرفة طبائع الناس ، وعلاقة المتغيرات الطبيعية والتكنلوجية بها .

الكلمات المفتاحية: فقه التعامل، الواقع، قصة ذي القرنين .

*قسم التفسير– كلية التربية والعلوم– جامعة إقليم سبأ– اليمن

The Jurisprudence of Dealing with Reality through the Story of Dhul-Qarnayn

Yahia Muqbel Saleh Al subahi*

Abstract:

The research deals with the jurisprudence of dealing with reality through the story of Dhul-Qarnayn, and discusses the problem of poor understanding among some in not realizing how to deal with reality, which led to falling into many pitfalls, the most prominent of which is collision with it, the least of which is the weakness of influence and the ability to change it. , and to identify its most important pillars and elicit its effects through the story's starting points and pillars.. The researcher relied on the analytical and deductive approach, and concluded that the story of Dhul-Qarnayn embodied the jurisprudence of dealing with reality in a clear picture between it and left traces on faith, vocation and behavior The research recommended more research on Quranic stories and the theory of the Holy Quran in dealing with reality, knowledge of people's natures, and the relationship of natural and technological variables to them.

Keywords: Jurisprudence of dealing, reality, the story of Dhul-Qarnayn.

*Department of Interpretation, College of Educational and Sciences, University of Saba Region ,Yemen

مقدمة البحث

يعد الواقع والتعامل معه من الأمور الملازمة التي لا انفكاك عنها في حياة الإنسان ، فمهمة الاستخلاف الموكلة له تتعامل مع واقع يعيشه ويتعايش معه مكانًا وزمانًا؛ ولذا من الوعي الذي ينبغي أن يدركه من يقود الناس أن يفقه كيف يتعامل مع الواقع ومعطياته، ولإدراك ذلك أنزل الله منهجًا من سار عليه وتمسك به ونهل من معينه قاده إلى السداد والتوفيق .

وبالتأمل في قصص القرآن الكريم نستنبط الأبعاد الإنسانية، والمعرفية لمعالجة قضايا الناس بفقه وفهم ، وهذا هو التدبر الذي أُمرنا به، فليس من التعبد في قراءة القرآن الكريم الوقوف على قصصه وأشخاصه ووقائعه وتعبيراته وكأنها تجسد تاريخًا معينًا حسب، فهذه الرؤية التاريخية لا تتناسب مع حفظ الله للقرآن وكونه نورًا مبينًا لكل زمان ومكان، بل يجب استحضار تلك القصص وأولئك الأشخاص وتلك الوقائع والتعبيرات لوصفها نماذج وحقائق تستوعب الزمان والمكان، قد يحجبها عن النظرة السطحية تغير الأسماء أو الأشكال، بيد أن جوهرها باق على حاله لا يخفى على الناقد البصير .

وإدراك واقعية القرآن ومعاصرته لا يحتاج إلى التكلف والتأويل البعيد، ولا الوقوف عند الظواهر والرسوم ، وإنما يحتاج إلى التدبر المنهجي، ولعل هذا هو المعنى الذي يشير إليه قول الله تعالى:﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ العنكبوت:43.

فكل الناس يقرؤون المثال أو يرونه، لكن أصحاب العلم هم وحدهم الذين يتعاملون معه التعامل الإيجابي المثمر.

من خلال هذا البحث سيتم تناول هذا الموضوع وفقًا للآتي:

مشكلة البحث:

تسبب الفهم لدى بعض في عدم إدراك التعامل مع الواقع إلى الوقوع في مزالق كثيرة لعل أبرزها: الاصطدام به ، وأقلها ضعف التأثير، والقدرة على تغييره، وهذا ناتج عن قلة الفهم للواقع، وكيفية التعامل معه ، فدراسة وضع الناس وفهم واقعهم، وتاريخ مجتمعاتهم، وبنيتهم الثقافية، والوضع الاقتصادي، والحالة السياسية، والمتغيرات المتلاحقة، وتفاعل الناس معها هو الذي يضبط آليات التعامل ، وطرق المواجهة أو التغيير، ومن خلال هذا البحث نوقشت هذه الاشكالية من خلال الإجابة عن السؤالين الآتيين:

1- ما أهم منطلقات فقه الواقع وركائزه من خلال قصة ذي القرنين ؟
2- ما أثر فقه المنطلقات والركائز لفقه الواقع في حياة المكلف ؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية معرفة التعامل مع الواقع من حياة الإنسان نفسه وتحقيقه لغاية الاستخلاف؛ ولذا فإن القرآن الكريم يذكر بعد سرد القصص أنها للعبرة والعظة؛ فيربط بين الماضي وواقع المكلف ومستقبله؛ ليدرك أن الصورة تتكرر بأشخاص آخرين، وبالنظر في قصة ذي القرنين نجد أنها من القصص القرآنية الجامعة بين العلم والعمل، والحكم والعدالة، والقول والفعل، والرأي والشورى، والصبر والحكمة، والسلطة والوجاهة، والقوة الروحية والمادية.
فحري أن يستفاد من عبرها ودروسها، وأن نفعل التدبر الذي أمرنا الله به.

أهداف البحث:

1. بيان نظرة القرآن الكريم لفقه الواقع .
2. التعرف إلى أهم منطلقات فقه الواقع وركائزه من خلال قصة ذي القرنين .

3. استنباط آثار فقه الواقع من خلال منطلقات القصة وركائزها .

أسباب اختيار البحث في قصة ذي القرنين:

أغلب الدراسات أو الكتابات التي تناولت فقه الواقع تتحدث عن مراحل الضعف والهوان ، أو العجز عن مواجهة الباطل وآثاره، لكن قصة ذي القرنيين هي مواجهة الواقع في مرحلة القوة ، التي تمثلت في الملك والسلطان ، وقوة العلم والمعرفة . والقوة في الغالب يصحبها الطيش والكبر والغرور ، فتستخدم في التغيير أو تحقيق مآرب صاحبهامن دون مراعاة لواقع الناس، والتبعات المترتبة على ذلك؛ ولذا فإن قصة ذي القرنين تحمل الفقه الناضج في التعامل مع الواقع في مرحلة القوة والتمكين، وهذا هو الذي دفع الباحث للنظر والتأمل فيها.

منهج البحث :

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التحليلي للآيات القرآنية التي تتحدث عن التعامل مع الواقع، خصوصا في قصة ذي القرنين موضوع البحث، وعلى المنهج الاستنباطي في استنباط المنطلقات والركائز التي تضمنتها في التعامل مع الواقع، وكذا الآثار التي تتركها على المكلف .

هيكل البحث: اقتضت طبيعة الموضوع جعله في مقدمة ، وأربعة مباحث، وخاتمة. وتفصيلها في الآتي:

المقدمة : تشمل : المشكلة ، والأهمية ، والأهداف ، وسبب اختيار البحث ومنهجه.

المباحث : تضمن الموضوع أربعة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

المبحث الثاني: نظرة القرآن الكريم إلى الواقع.

المبحث الثالث: ركائز فقه التعامل مع الواقع من خلال قصة ذي القرنين .

المبحث الرابع: آثار فقه التعامل مع الواقع من خلال قصة ذي القرنين.

الخاتمة تشمل :نتائج البحث وتوصياته .

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات عنوان البحث

تعريف فقه الواقع: مركب إضافي، واذا أردنا معرفة معناه فلا بد من إفراد كل لفظ بتعريف، و بالرجوع إلى معاجم اللغة يتبين الآتي:

1- فقه: تطلق الكلمة على الإدراك، ومنه فقُه الأمر: أحسن إدراكه. وتطلق على الفهم، ومنه تفقه الأمر: تفهمه وتفطنه، ويطلق الفقه على: الفهم والفطنة، وهو العلم أيضا[1]، ومنه دعاء النبي ﷺ لابن عباس : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[2] .

2- الواقع: لم تعرف اللغة العربية مفهوم الواقع بوصفه مفهوماًمجارياً مجازي حديث، يدل على ما يدل عليه عند سماعِه لدى الإنسان العربي المعاصر، وإن اشترك مع المعنى القديم في شيءٍ مِن معناه الحديث، و اشتهرت وشاعت في العصر الحديث كلمات: الواقع، والواقعي، والواقعة، والواقعية، لا ككلمات لغويَّة لها دلالاتها المفردة، بل

كاصطلاحات ومفاهيم مذهبيَّة في الأدب، والفنِّ، والفلسفة، والسياسة.

واقعية، وهي في الفلسفة: مذهب يلتزم فيه التصوير الأمين لمظاهر الطبيعة والحياة كما هي، وكذلك عرض الآراء والأحداث والظروف والملابسات دون نظر مثالي، أو مذهب أدبي يعتمد على الوقائع، ويعنى بتصوير أحوال المجتمع[3].

(وقد وقفت النظرية الواقعية في وجه النظرية المثالية التي تؤمن بأن الإنسان خيّر بطبعه، طيب بفطرته، لكن الحياة الاجتماعية الحضريَّة هي التي تفسده، ثم ما لبثتْ تلك النظرة الفلسفية أن تحولتْ خلال القرن التاسع عشر إلى تيار أدبي قوي نَشِط)[4].

ويرى الشيخ القرضاوي أن الواقعية في الإسلام تعني:

(مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة، ووجود شاهد، ولكنه يدل على حقيقة أكبر منه ووجود أسبق من وجوده، وهو وجود الواجب لذاته، وهو وجود الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا)[5] . وهي من خصائص الإسلام وسماته.

وتكلم الدكتور النجار عن الواقع فقال:(المقصود بالواقع... الأفعال الإنسانية التي يراد تنزيل الأحكام عليها وتوجيهها بحسبها[6]. إلا أن هذا التعريف يحصر الواقع في الأفعال الإنسانية..)، وقد ذهب إلى الرأي نفسه الدكتور الخادمي فقال:(والواقع ليس إلا مجموع الوقائع الفردية والجماعية، الخاصة والعامة)[7 8].

وقد وسع الدكتور عبد المجيد النجار من تعريفه في كتاب لاحق، إذ قال:(نعني بالواقع ما تجري عليه حياة الناس، في مجالاتها المختلفة، من أنماط في المعيشة، وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف، وما يستجد فيها من نوازل وأحداث)[9].

3- فقه الواقع: يرى الدكتور القرضاوي أن فقه الواقع:(مبني على دراسة الواقع المعيش، دراسة دقيقة مستوعبة لكل جوانب الموضوع، معتمدة على أصح المعلومات وأدق البيانات والإحصاءات)[10].

(فالنزول إلى الميدان وإبصار الواقع الذي عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم واستطاعاتهم وما يعرض لهم، وما هي النصوص التي تتنزل عليهم في واقعهم، في مرحلة معينة، وما يؤجل من التكاليف لتوفير الاستطاعة، إنما هو فقه الواقع، وفهم الواقع، إلى جانب فقه النص) [11] .

ففقه الواقع إذاً: الفهم العميق لما تدور عليه حياة الناس في جميع المجالات، بكل مظاهرها وظواهرها وأعراضها وطوارئها والتعامل معها وفقًا لذلك .

قصة ذي القرنين:(من القصص القرآنية الجامعة، بين القوة والرحمة ، فذو القرنين الذي سار بجيشه إلى مشرق الأرض ومغربها لم يسجل عنهم أنهم تعدوا على أحدٍ، أو ظلموا أحدًا، أو أكلوا مال أحدٍ، همهم فقط نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ورفع الظلم والحيف عن الناس، إلى جانب تعليم الناس أسس ومبادئ الصناعة والعمل، ويبين بذلك للعالم أجمع أن عالمية الإسلام ماض إلى يوم القيامة لا تحده زمان ولا مكان، فهو الدين الوحيد الذي يستطيع أن يجمع تحت مظلته كافة الأجناس والأقوام ويجعلهم إخوانًا في دين الله، وكذلك تبين رحلاته نشر روح التسامح بين الأقوام، والاستفادة من بعضهم البعض في مجال البناء والحوار الحضاري.

عن قصةٍ الرجل الصالح الذي مكَّن الله له، وهيأ له الأسبابَ فأخذ بها، واجتهدَ في استثمارها وتطويرها، فطوَّف في الأرض، وجال في أقطارها، قائدًا ظافرًا، وحكما عادلاً، وسلطانا قويًا، وعبدًا شكورًا، فملأ الدنيا عدلاً ونورًا)[12].

فرسخ القيم، وأقام العدل، ونصر المظلومين ،تعامل مع الواقع في كل مكان بما يناسبه ومع كل قوم بما يلائم وضعهم وقدرتهم .

ذو القرنين:(لم يتجاوز القرآن ذكر هذا الرجل بأكثر من لقبه المشتهر به إلى تعيين اسمه وبلاده وقومه؛ لأن ذلك من شؤون أهل التاريخ والقصص وليس من أغراض القرآن، فكان منه الاقتصار على ما يفيد الأمة من هذه القصة عبرة حِكميةً أو خُلقيةً)[13].

(وإن كانت معرفة شخصه لَا تزيد القرآن بيانًا، بل العبرة في خبره ثابتة ولو لم يعلم جنسه وقبيله)[14].

(والذي يعنينا أن نتدبر في قصته، ونستخلص منها الدروس والعبر في الدعوة والإصلاح والقيادة والإدارة والسياسة والقضاء، ثم إن السؤال ليس عن شخص ذي القرنين وإنما عن حياته وجهاده وأمجاده)[15].

وهذا أسلوب القرآن الكريم في عرضه للقضايا والأحداث ، يركز على المضمون والجوهر ، ويترك الأسماء والألقاب والمتعلقات الشخصية؛ لأنها ليست أساسًا لتحقيق العبرة والعظة إلا ما كان فيه مصلحة .

فالقصص القرآني أنموذج عملي للتعامل مع الواقع في وقته وزمانه، وهو في الوقت نفسه تجربة بشرية يتوارثها الأجيال، لينتفعوا بها ، فمهما تغير الزمان بأدواته إلا أن أصول القضايا ، وطبائع البشر لن تختلف ولا تتغير ، تلك هي سنة الله الماضية، ومن هنا جاء الاعتبار ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ الحشر:2. ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف:111.

المبحث الثاني

نظرة القرآن الكريم إلى الواقع

القرآن الكريم كتاب الهداية الإلهي، به يعرف المكلف ما يجب عليه القيام به، قال تعالى ﴿: ***إِنَّ*** هَٰذَا ***الْقُرْآنَ*** يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء :9.

وهذا النور الهادي يعالج قضايا الإنسان بحكمة وواقعية؛ ولذا سنجد ذلك من خلال الآتي:

1تشريع الأحكام بناء على واقع المكلف: لا يوجد في الشريعة الإسلامية حكمًا مغلقًا أبدًا ، بل سنجد الاستثناء في كل حكم ، ورفع الحرج في كل تكليف ، وتنوع الأداء على وفق واقع المكلف وقدرته، قال تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا ﴾ البقرة:286، وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ الطلاق:7. وفي بعض التفصيل سنجد ذلك واضحا، فالقتال على المسلمين لم يفرض إلا بعد الهجرة . وعلى الرغم من إلحاح المسلمين وطلبهم الإذن بالقتال وهم في مكة، فإن القتال كان محظورًا. وكذا في تشريع الأحكام ، وكيفية أدائها.

2-اختيار الأنبياء والرسل من بيئة المخاطبين: قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وما أرْسَلْنا مِن رَسُولٍ ***إلّا بِلِسانِ قَوْمِهِ*** لِيُبَيِّنَ لَهم فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشاءُ ويَهْدِي مَن يَشاءُ وهو العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ سورة إبراهيم:4.

3-بعث الله سبحانه وتعالى الرسل لأقوامهم خاصة، قبل سيدنا محمد ﷺ

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾هود:50 ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾هود:84.وقوله ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾هود:61 . وهكذا سائر الأنبياء عليهم السلام. والمراد أخوهم في النسب والقبيلة، لا في الدين. وعلة ذلك أنه يكون أقرب لهم ، وأفقه بواقعهم ، وأعلم بشئونهم.

4-معالجة كل نبي لقضية واقعية في قومه: فبعد الدعوة إلى التوحيد، تأتي الدعوة إلى إصلاح قضايا الفساد والظلم المنتشرة في ذلك الزمان ، وكانت تختلف القضايا من زمان إلى آخر، فأرسل الله شعيباً عليه السلام لإصلاح فساد سائد هو الفساد الاقتصادي واختلال موازين السوق، قال تعالى :﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (84) ﴿و يَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ هود:84-85.

دعا شعيب عليه السلام قومه إلى عبادة الله عز وجل وتوحيده، لكنه كرر عليهم مشكلة الفساد الاقتصادي أربع مرات:﴿ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾هود:84،﴿ و يَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾هود:85،﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾هود:85، ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾هود:85 ، ولم يهلك الله قوما بالكفر وحده، حتى ينضم إليه الفساد في المعاملات والعلاقات الاجتماعية، كما أهلك الله قوم شعيب بنقص المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط[16] .

هكذا يخبرنا القرآن الكريم أن برنامج التغيير يكون على وفق ما في الواقع من فساد أو انحراف، حجما وكما وكيفا، ويتأكد لنا هذا في قصة لوط عليه السلام والقضية الواقعية التي دعا إلى إصلاحها ، وهي قضية فساد أخلاقي اجتماعي. يقول الله سبحانه:﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ النمل:54-55، وموسى عليه السلام بعث لإصلاح فساد سياسي وآخر اقتصادي، فضلاًعن الشرك بالله عز وجل.

فالفساد السياسي ممثل في فرعون وملائه :﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾القصص:4.

والطغيان الاقتصادي ممثل في قارون ، يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾القصص:76-77.

5-التذكير بعاقبة الأمم السابقة: إن التذكير بمصير من سبق هو إحياء للماضي في صورة الحاضر، وإن تكرار الأحداث تكرار للمعير نفسه، فأخذ العبرة والاتعاظ، وعدم السير في طريقهم قال تعالى:﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف:176

وللقصص أثر بالغ في النفوس، تعوض عن الكثير من الكلام، إذ هي واقع حي مماثل يستعرضه علينا القرآن وكأننا نشاهده، يقول تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾هود:120.

قال الدكتور وهبة الزحيلي عند تفسيره لهذ الآية:(في إيراد قصص الأنبياء وما كابدوه من مشاق من أجل دعوتهم تسلية للنبي ﷺ ، وتثبيتا له على أداء الرسالة والصبر على

ما يناله فيها من الأذى.. وفيها بما تضمنته من بيان ما هو الحق واليقين عظة وعبرة وذكرى لكل مؤمن. والموعظة ما يتعظ به من إهلاك الأمم الماضية، والذكرى تذكر المؤمنين ما نزل بمن هلك فيتوبون، وخص الله تعالى المؤمنين لأنهم المتعظون إذا سمعوا قصص الأنبياء)[17].

وينقل لنا القرآن الكريم واقع الأمم السابقة، حتى نعرف أسباب الهلاك فنتجنبها وأسباب النجاة فنتبعها، يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام:42-45 .

فالتذكير بأحوال الأمم السابقة، تنبيه للمخاطب وتحذير للوقوع فيما أهلك السابقين

ويقول الله عز وجل: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (100) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (101) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ هود:100-103 .

والقرآن الكريم عندما يقص علينا قصة، فإننا نجد في أثنائها أو خواتيمها عبارات من مثل قوله تعالى:﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ الأعراف:101.﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾هود:102 وقوله:﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ النمل:69.وذلك تذكير للناس بعاقبة القوم وبيان سبب هلاكهم

فمن القصص القرآني نكتشف سنن البقاء والفناء في هذا الكون؛ بناء على الواقع الذي قابلت به الأقوام دعوات الرسل ، واستمرارهم في واقع الفساد والطغيان، يقول سبحانه وتعالى:﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ آل عمران:137.

فمشيئة الله تسير على نظم ثابتة وسنن حكيمة، ترتبط فيها الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج، وتلك السنة في الماضين واللاحقين، هي أن من سار على منهاج الطائعين المؤمنين الموفقين، حظي بالسعادة والنصر والفلاح، ومن سار في طريق العصاة المكذبين كانت عاقبته خسرانًا ودمارًا وهلاكًا.

ومن سار في الأرض، وتعقب أحوال الأمم، وتدبر التاريخ وعرف الأخبار، يجد مصداق تلك السنة الإلهية الثابتة، وهي الفوز لمن أحسن، والخيبة لمن أساء[18] .

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الأعراف:94-95.

والعاقل المتدبر في أحوال الماضي وتقلبات المستقبل هو الذي يستفيد من دروس الحياة ، ويسعى لتغيير واقعه بما يحقق الخيرية للبشرية في دنياها وأخراها .

1- تقرير واستبدال: في جانب التشريع وإقامة الأحكام والتكاليف الشرعية للقرآن في بيانها مقامان:

المقام الأول: واقع فاسد ففي هذه الحالة يظهر فساده ويسعى لتغييره، وهذا المقام هو المشار إليه بقوله تعالى:﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ البقرة:257.وقوله تعالى :﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة:16 .

المقام الثاني: تقرير أحوال صالحة قد اتبعها الناس، وهي الأحوال المعبر عنها بالمعروف في قوله سبحانه وتعالى:﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف:157.

فالتعامل مع الواقع الصالح لم يلغه القرآن بل عززه وثبته ، أما ما كان مناقضًا وفاسدا ، فالإسلام ألغاه أو أصلحه وقومه[19].

وهكذا يجد المتأمل في كتاب الله ، ارتباط الوحي بواقع الناس ولا أدل على ذلك من نزول القرآن الكريم منجمًا تبعاً للأحداث والوقائع .

المبحث الثالث

ركائز فقه التعامل مع الواقع من خلال قصة ذي القرنين

التعامل مع الواقع يحتاج إلى فهم مستوعب لأبعاده ومجالاته ، وما يترتب على التعامل معه بأي طريقة ما، ولتحقيق ذلك ، فإن النظر في القرآن الكريم خصوصًا القصص ضرورة لاستنباط ركائز فقه التعامل ومنطلقاته على هدى وبصيرة.

ومن هذه القصص قصة ذي القرنين، الذي طاف بجنده الأرض ؛ ليقيم الحق ، والقسط ، ويرسخ القيم النبيلة، وينصر المظلوم ، ويدربه على مواجهة الظلم والاستكبار والفساد.

ومن خلال ما قصه القرآن علينا من خبره ، فإن الله وهبه أسباب النصر والتمكين، وأصول السياسة، وفنون التدبير، وحسن التعامل مع الواقع الذي كان يصادفه، فأحسن استغلال هذه المنح والمواهب على أتمّ وجهٍ، فكانت ركيزة ومنطلقًا إلى السير في الأرض وبلوغ المشرقين ، و يمكن إجمالها في الآتي:

1- إدراك البيئة و الطبيعة الجغرافية: بينت الآيات التي تحدثت عن قصة ذي القرنين البيئة التي تعامل معها ، والطبيعة الجغرافية المحيطة بالأقوام الذين وصل إليهم بجيشه وعتاده ، فذكرت مغرب الشمس ، ومشرقها ، والعين الحمئة ، وبين السدين ، وفي كل مكان يجد أقوامًا لهم طبائع تختلف عن الآخرين ، وعندهم من الوقائع ما يختلفون به عن غيرهم، وهنا نجد أنه تعامل مع كل قوم بما يناسب وضعهم وواقعهم ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ

وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾الكهف :83—96.

وعلى هذا ماذا تعني البيئة؟ وماذا تمثل؟ وما آثارها على سلوك الناس وتصرفاتهم؟ سنحاول في هذه الأسطر الإجابة عنها بشكل مجمل وما يتعلق بالبحث من خلال الآتي:

تمثل البيئة :كل العوامل الخارجية التي لها تأثير مباشر أو غير مباشر في الفرد[20] ، وعلى مناحي الحياة فتؤثر فيها وتوجهها على وفق خصائصها وسماتها .

و نقصد بالبيئة الطبيعية: كل ما يتعلق بالمنطقة التي يعيش فيها الإنسان، من تكوين، وموقع جغرافي، وتضاريس، وما يحيط بها من ظروف طبيعية ومناخية[21] .

ولقد تطرق ابن خلدون في مقدمته الشهيرة لهذا الأمر كثيرًا ، فكتب عن أثر الهواء في ألوان البشر وأحوالهم وأخلاقهم.

ويرى ابن خلدون، ومونتيسكيو وغيرهما من علماء الاجتماع، أن البيئة الطبيعية أو الجغرافية هي التي تكسب الجماعات البشرية خصائصها ومقوماتها الذاتية، إلا أن هناك فريقًا من العلماء يرى أن هذا التقدير مبالغ فيه[22].

ولهذا المنطلق في فقه التعامل مع الواقع تأثيراته في مجالات الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، يقول ابن خلدون : (وأهل مصر غلب عليهم الفرح والخفة والغفلة عن العواقب، حتى إنهم لا يدخرون أقوات سنتهم ولا شهرهم، وعامة مآكلهم من أسواقهم. ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة، ترى أهلها مطرقين إطراق الحزن، وكيف أفرطوا في نظر العواقب، حتى إن الرجل ليدخر قوت سنتين من حبوب الحنطة، ويباكر الأسواق لشراء قوته ليومه مخافة أن يرزأ شيئا من مدخره[23]).

وإذا كان للبيئة الطبيعية تأثيراتها في الحياة الاجتماعية، فإن تأثيراتها في الحياة الاقتصادية أشد وأقوى، إذ تختلف هذه الأخيرة تبعًا للمواد الأولية وللجو وللموقع، فحيث تكثر المناجم تكثر الصناعات، وحيث تقل المناجم يندر وجود الصناعة، وقرب الأنهار والأودية تكثر الزراعة وتنشط، في حين ينتشر الرعي في المروج.

أما في الجبال فالموارد الاقتصادية قليلة لعدم صلاحية الجبال للإنبات من جهة، ولوعورتها من جهة أخرى، فيعم الفقر، وأما في المناطق الساحلية فتتحرك التجارة وتنشط الصناعة، ويكثر نقل البضائع، وفي المناطق الحارة تكثر صناعة الدخان، وأقواتهم من الذرة والعشب، في حين يرتكز اقتصاد المناطق الباردة على غزل الصوف والنسيج لمقتضيات منطقتهم ومتطلباتها[24] .

ولتأثيرات البيئية الطبيعية في الحياة السياسية يحدثنا التاريخ كيف أن الجبال والصحاري، كانت دائمًا عائقًا أمام

المطامع الاستعمارية والنوايا الاستغلالية، وهذا ما يجعل أهل هذه الأماكن في أمان، عكس أهل السهول والأودية التي تغري بالتوسع والاستعمار؛ مما يجعلهم تحت تأثير القوى الأجنبية الغاشمة[25].وليس هذا فقط، بل حتى المناطق التي تمتاز بالخيرات الطبيعية فهي دائما محط أطماع القوى الكبرى.

ولذا فإن دراسة بيئة الناس الطبيعية والجغرافية من الأمور الضرورية للتعامل مع واقعهم وإحداث التغيير المطلوب.

2-فقه الحركة الاجتماعية : من الركائز المهمة التي يجب معرفتها في التعامل مع الواقع هو فقه الحركة الاجتماعية للمجتمع المراد مخاطبته، والمقصود به: معرفة نشاط المجتمع في مجالات الحياة المتنوعة، فمعرفتها ينعكس على نوعية التعامل ، فيؤثر في الفرد وتوجيهه وتقويم سلوكه ، وتوجيه طريقة تعامله مع مشاكل الحياة .

ويمثل فقه الحركة الاجتماعية:كل العلاقات الإنسانية ، وكيف بنيت؟ ونوع الرابط بين الناس أو بلغة العصر المصلحة التي تجمعهم (سياسية ، اقتصادية ، دينية ، عائلية .....) ؛ ولذا نجد في قصة ذي القرنين، كانت مشكلة أصحاب... بين السدين، يأجوج ومأجوج ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، هي التي جمعت الناس وهي محور اهتمامهم ، ومستعدين للتضحية في سبيلها بالمال ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾، وبالعمل ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ .

ففقه الحركة الاجتماعية مهم للتعامل مع الواقع والنجاح في تحقيق الغايات والأهداف، ومحدد رئيس لوضع الكثير من التشريعات أو إلغاء أخرى، وتأجيل ما يمكن تأجيله أو تقرير التدرج في أمور. وهو نابع من فهم أصل غاية خلق الإنسان، وما يترتب على ذلك من استحقاق وواجبات، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة:30.

وهذا هو السر في جعل الإنسان مكرمًا من بين سائر المخلوقات والكائنات، يقول تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء:70 .

وعلى هذا يجب أن يتم التعامل مع الإنسان انطلاقًا من إدراك الغاية من خلقه، فالشريعة جاءت لتنظم حياة الناس وتسمو بهم إلى الارتقاء الروحي والمادي وفقه ما يريده الله .

لكن الناظر في الواقع اليوم للمجتمعات الإسلامية يجد أنها تاهت بين التقليد الأعمى للغرب والتأثر بثقافته ، وفكر منفر متشدد يقيد كل شيء، وعلى هذا يجب على الدعاة والمربين إدراك فقه الشريعة وفقه المجتمع، يقول القرافي في هذا الموضوع وهو يتحدث عن الفرق الثامن والعشرين بين قاعدة العرف القولي الذي يقضى به على الألفاظ ويخصصها، وقاعدة العرف الفعلي لا يقضى به على الألفاظ ولا يخصصها :(وعلى هذا القانون تراعى الفتاوى على طول الأيام، فمهما تجدد في العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك

يستفتيك لا تجره على عرف بلدك، واسأله عن عرف بلده واجره عليه وأفته به دون عرف بلدك، والمقرر في كتبك، فهذا هو الحق الواضح، والجمود على المنقولات أبدًا ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين[26]).

فالواقع الإسلامي اليوم موروث عن عصور الانحراف والبعد عن شريعة الله عز وجل ؛ لذا فإن فهمه بعيدًا عن تاريخه لن يؤتي الثمار المرجوة، وقد يأتي بعكسها ذلك؟ (إن فقه الحركة الاجتماعية هو رصد للعلاقات الاجتماعية على مختلف الأصعدة التي تضطلع فيها التنشئة الاجتماعية بدور أساس، وذلك لأن المعايير الاجتماعية تتكون من خلال تفاعل الجماعة، حيث يكتسبها الفرد ويتعلمها من خلال التنشئة الاجتماعية)[27] .

وقد أكد العلامة ابن القيم على ضرورة فقه الواقع تنويها منه إلى أصوله وأهميته من خلال مقولته التي تمثل تأصيلًا نظريا لهذا الموضوع، فقال: (ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما. النوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان قوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرا؛ فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله كما توصل شاهد يوسف عليه السلام، بشق القميص من دبر إلى معرفة براءته وصدقه، وكما توصل سليمان – ﷺ – بقوله: ائتوني بالسكين حتى أشق الولد بينكما إلى معرفة عين الأم، وكما توصل أمير المؤمنين علي – ﷺ – بقوله للمرأة التي حملت كتاب حاطب ما أنكرته لتخرجن الكتاب أو لأجردنك إلى استخراج الكتاب منها ... » إلى أن قال: ومن تأمل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا، ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله[28]).

وكما قال ابن بيه: (ولعل هذا الغموض الذي يلف الواقع أحيانًا هو ما ألجأ الأصولين إلى وضعه تحت عنوان (تحقيق المناط)، وما جعل أبو حامد الغزالي يقدم ميزانًا خماسيًا لوزن الواقع والكشف عن حقيقته... فالواقع الذي يجب فهمه والفقه فيه واستنباط علم حقيقته حسب عبارة ابن القيم، يعني الإحاطة بحقيقة ما يحكم عليه من فعل أو ذات أو علاقة أو نسبة ليكون المحكوم به في الواقع مطابقا لتفاصيل هذا الواقع ومنطبقا عليه[29]).

فدراسة واقع المجتمعات، ومعرفة تاريخها ، وثقافتها ، وبنيتها الاجتماعية، وعلى أي أسس بنيت روابطها فيما بينها، هو الذي يسهل ابتكار الآليات للتعامل مع واقعهم ، ومواصفات التخاطب معهم ، والطرق التي يمكن أن تسلك في الأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والرشاد .

3-معرفة طبيعة النفس البشرية:التعامل مع الواقع يحتاج إلى معرفة النفس البشرية ، ومن ثَم كيفية التعامل معها ، فالناس ليسوا سواء ، فمنهم المحسن ومنهم المسيء ، وكل

صنف له طريقة في التعامل معه، وفي قصة ذي القرنين نجد ذلك واضحًا في قوله تعالى :﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ الكهف: 86 – 88 – فنظرية الثواب والعقاب تناسب تصرفات الناس في واقع حياتهم، فذو القرنين قسم الناس على قسمين:

الأول :من ظلم، فهؤلاء سوف يعاقبون ، وفي استخدام سوف تأجيل للعقوبة علَّهم يعودون عن ظلمهم، لكن في الوقت نفسه هناك ربط بين عقوبة الدنيا وعقوبة الآخرة التي هي أشد وأبقى.

الثاني :مَن آمن وعمل صالحًا؛ كعادة القرآن يربط بين الإيمان والعمل الصالح، ويقرن بينهما؛ إذ لا إيمان بلا عمل، ولا فائدة من عمل بلا إيمان ونية وإخلاص، ثم يذكر الجزاء مباشرة، ﴿فله جزاءً الحسنى ﴾، هكذا من دون تسويف ولا تأجيل، بل هناك تحفيز وتشجيع آخر: ﴿وسنقول له من أمرنا يسرًا ﴾.

فالمتعامل مع الواقع لا يتعامل بحدية مع الناس ، بل فطنًا لأحوال الناس وطبائعهم ، فهناك من يجدي معه النصح واللين والتشجيع والمكافأة على الخير، وهناك من لا يجدي معه سوى التهديد بالعقاب، لكن في كل الأحوال الأفضل أن نعجل بالمثوبة ونهدد بالعقاب ونؤجّله، وكما يقال: التهديد بالعقوبة أوقع من العقوبة نفسها، وقد ورد عن النبي ﷺ: (علقوا السوط حيث يراه أهل البيت)[30].

إن الإنسان ببشريته هو المحور الذي عليه يدور الواقع، منه يبدأ وإليه ينتهي، ولا يمكن أن نتكلم عن واقع بدون إنسان أو إنسان بدون واقع، ذلك لعلاقة التحكم بين الطرفين ومن كليهما، فيتكيف الإنسان معه أو يكيفه طبقا لحاجياته ومقتضيات التشريع بما وهبه الله عز وجل من استعدادات فطرية تختلف من إنسان إلى آخر، على وفق طبعه ومزاجه وخصائصه النفسية، لكن رغم هذا، هناك ما هو مشترك بين جميع البشر وإن اختلفت نسبته من إنسان إلى آخر، وذلك ما اصطلح على تسميته بـ (طبيعة الإنسان) .

وفقه الواقع يعتمد على معرفة النفس البشرية، فهو بشكل عام يبحث عن حال الناس وقضاياهم؛ طلبًا لإيقاع الحكم أو تنزيله مراعيًا هذه الأحوال؛ ولذا ناقش هذا الأمر الشاطبي وبينه حين تحدث عن المجتهد بالنظر الخاص في تحقيق المناط، وأطلق عليه العالم الرباني، لأنه ينظر فيما يصلح بكل مكلف في نفسه، بحسب وقت دون وقت، وحال دون حال، وشخص، دون شخص إذ النفوس ليست في قبول الأعمال الخاصة على وزان واحد[31].

ومما يتعلق بالنظرة الواقعية للإنسان من حيث تكوينه ولوازم ذلك ،يرى ابن كثير: أن النفوس خلَقَها الله سويَّةً ومستقيمة على الفطرة، فيقول عند تفسير الآية : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ الشمس: 7: أي خلَقَها سويَّةً مستقيمة على الفطرة القويمة، كما قال تعالى :﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ الروم: 30، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود يولَد إلا على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه، كما تولَد البهيمة بهيمةً جمعاءَ، هل تُحِسُّونَ فيها من جدعاءَ؟[32])، وعن رسول الله ﷺ قال: (يقول الله عز وجل: إني خلَقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم، فجاءتهم الشياطين فاجتالتْهم عن دينهم)[33].

فالنفس تتوارد عليها أحوال: أحيانًا ترتقي فتكون في أعلى مراتب الارتقاء، وأحيانًا تنحني فتصل إلى أدنى مراتب الانحناء، فمعرفة طبيعة النفوس ، يثمر التعامل الواقعي معها من دون إفراط أو تفريط ، كما يسهم في البحث عن علاج لمن يحتاجه ، وتقوية عزائم أصحاب النفوس العالية .

4- التزود بالمعرفة والأخذ بالأسباب : يذكر القرآن الكريم تمكين الله لذي القرنين ، وما وهبه من المواهب والمعارف و العلوم ، التي هي أولى أسباب التمكين، ومعرفة التعامل مع الواقع ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾؛ فبداية التمكن على الأرض لن تكون إلا بالعلم ، ولهذا سمى الله تعالى الجهل موتًا في غير ما موضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ الأنعام: 122 .

فعلوم التمكين تشمل جميع العلوم المرتبطة بحياة الناس، ولكن تختلف في تقديم أهميتها وفقا للحاجة، والوقت والزمان، ففي قصة ذي القرنين علم بناء السدود، وكيفية عمل الردم؛ وهو المهم في تلك اللحظة لإنجاز المطلوب، فالقوم هم من اقترحوا بناء السد؛ لكن لا توجد عندهم معرفة لكيفية بنائه؛ ولذلك ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ الكهف:94.

وحاجتنا في تحديد أولويات العلوم اليوم، يتوقف على دراسة واقع المجتمع دراسة اجتماعية واقتصادية وبيئية بالاستفادة من علوم الطبيعة، يقول الدكتور حسن الترابي :(ولا يمكن أن نجتهد إلا إذا تعلمنا علوم الطبيعة كما نتعلم الشريعة، ذلك أن علم الطبيعة هو الذي يعرفك بالواقع وأدواته، ومهما حصل لك من العلم الديني بمعالجات الشريعة وبأدوية الشريعة فلا بد لك من تشخيص المجتمع لتعلم الداء، ثم تقدر ما هو الدواء الشرعي المعين الذي يناسب ذلك المجتمع، وذلك يستدعيك أن تدرس المجتمع دراسة اجتماعية واقتصادية، وأن تدرس البيئة الطبيعية دراسة فيزيائية، حتى تستطيع أن تحقق الدين بأكمل ما تيسر لك[34]).

والتزود بالمعرفة تنتج فهم قوانين الحياة التي من عرفها امتلك سبلا تسخيرية، تجعله قادرًا على رصد بوادر الخلل ومعالجتها قبل تراكمها، ذلك أن المعرفة تحرر العقل من العبثية ومن قيود الحتمية، فلا شيء يحدث بدون مقدمات، قال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾.

ولذا نجد في قوله تعالى :﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ :إشارة واضحة إلى سعي ذي القرنين في تطوير ذاته وإمكاناته، ومواهبه التي وهبه الله إياها، من خلال السير في الأرض، والتزود من المعرفة، وكذا تطبيق معارفه في حل المشكلات التي تواجه الناس، ولو لم يكن يملك ذلك لما استطاع أن يتعامل مع الواقع الذي يواجهه، وكذا لما تمكن من أن يصل إلى مشارق الأرض ومغربها .

والأخذ بالأسباب كما أشارت إليه الآية السابقة، والجري وراء سنة الله في الكون من الجد والعمل، وأنه على قدر بذل الجهد يكون الفوز والظفر[35]: قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ الكهف: 84، 85.

قال السعدي: أي: ملكه الله تعالى، ومكنه من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له. ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة مع السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل.

وهذه الأسباب التي أعطاها الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم، عَدد وعُدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها؛ [36]

وفي التعامل مع الواقع سنجد أكثر من سبب للشيء الواحد ، فمنها أسباب تقود إلى مسببات قائمة على الخير والهدى، ومنها أسباب يتوسل بها إلى كل خبيث، فالحصول على المال مثلاً، يمكن أن يتوسل إليه بالعمل الجادّ، وبالكسب الحلال، كما يمكن أن يتوسّل إليه بأسباب كثيرة فاسدة، كالسّرقة، والغصب، والاحتيال، والنصب، والغشّ، والرّبا ونحو هذا.

وفي قوله تعالى:﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ إشارة إلى أن الأسباب التي وضعها الله سبحانه وتعالى في يد ذي القرنين، وأقام نظره وقوله عليها، هي الأسباب السليمة الصحيحة المعزولة عن الأسباب الفاسدة الظالمةوهذا هو السرّ في النظم الذي جاء عليه النظم القرآني، من إفراد كلمة (سبب)، ليكون ذلك إشارة دالة على أنه سببٌ واحدٌ، متخيّر من بين كل الأسباب، وأنه السبب الصالح السليم فيها، أو هو أصلح وأسلم الأسباب...ويكون معنى النظم: ﴿وَآتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾أي آتيناه سببا من كل شيء يعالجه، ويعمل فيه، وهو السبب الموصّل إليه على أكمل صورة وأعدلهاوفي تنكير السبب، ما يغني عن وصفه، إذ أن هذا التنكير يحمل في كيانه- مع هذا الأسلوب الذي عليه النظم القرآني- تنويها به، ورفعًا لقدره، واستعلاء بمكانته بين الأسباب المتداخلة معه في الوصول إلى الغاية المتّجه إليها؛ [37]

فالإنسان في تعامله مع الواقع، عليه أن يستثمر ما آتاه الله من خير وقوة، وما هيأ له من أسباب موصلة لتحقيق الخير للناس ابتغاء مرضاة الله.

كثيرون ممن يمنحهم الله مالًا وجاها وعلمًا ومكانة، فينحرفون في السير ، وينشرون الرذيلة ويحاربون كل فضيلة ويقفون في وجه كل خير.

لقد تتبع ذو القرنين السبل والوسائل وأخذ بالأسباب في مواجهة الواقع والتعامل معه ، ونشر العدالة والرحمة في شتى الأرجاء التي وصل إليها، فلم يكن ما قام به ذو القرنين من خوارق العادات أو على سبيل الكرامات ، بل اتبع طرق التمكين القائمة على الأخذ بالأسباب ،على وفق سنن الله في الاستخلاف في الأرض.

ومن القصة نجد أن التزود بالمعرفة والأخذ بالأسباب ركائز أساسية للتعامل مع الواقع وفهمه، والوصول إلى تحقيق غايات الاستخلاف في الأرض.

المبحث الرابع

آثار فقه التعامل مع الواقع من خلال قصة ذي القرنين

التعامل مع الواقع بناء على الركائز المذكورة في المبحث السابق ، تضبط فقه التعامل ، وتوازن بين الأشياء وتمنع الغلو ، ولذا سنلحظ ذلك من خلال قصة ذي القرنين في الآتي:

أولًا: الأثر العقدي: والمقصود به: ما تركته القصة في مجال الإيمان والعقيدة، من نتيجة على القلوب والنفوس ، وما نمّت من عميق الإيمان بالله في نفوس المخاطبين ، مما يستدعي القارئ و المتأمل في قصة ذي القرنين، استشعار الآثار العقدية التي يمكن تلخيصها في الآتي:

أ. استشعار إحاطة الله بكل شيء: قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ الكهف: 91.قال ابن كثير:(أي نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى علينا منها شئ وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض فإنه تعالى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ آل عمران: 5)[38].

(فحتى لا يظن بأنه قد وصل إلى ما وصل إليه بسبب قدرته وتحركه الذاتي بمعزل عن علم الله وذاته، فها هو ذو القرنين قام بفتوحات عظيمة، في الجبهة الغربية، ثم في الجبهة الشرقية، وقام بإنجازات عظيمة في الجبهة الشمالية، لكن الله مطلع على أعماله، محيط بأخباره، عالم بإنجازاته، وهو مقدر لها ومريد لها سبحانه).[39] .

ومن استشعاره عظمة الله وفضله، قوله كما حكى القرآن عنه: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ الكهف: 95.فذو القرنين لا يُذكر لأنه ملك، ولكن يذكر لأعماله الصالحة.

قال ابن كثير:(يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من بينهم ما لا يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سدا فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه كما قال سليمان عليه السلام: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾النَّمْلِ: 36، وهكذا قال ذو القرنين الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه ولكن ساعدوني بقوة أي بعملكم وآلات البناء[40].

ب. الإقرار بنعمة الله وفضله: من أبرز الصفات النفسية للإنسان، الطغيان في حالة الاستغناء ، والعجب والكبر في حالة التمكن والسيطرة في الأرض ، لكن في قصة ذي القرنين ، نجد الإقرار التام بنعمة الله وفضله ، فلم يعم الواقع الذي وصل إليه عينيه وقلبه، بل قال كما حكى القرآن عنه:﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ الكهف: 98.

قال السعدي:(فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ أي: من فضله وإحسانه عليَّ، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله كما قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض، فإن النعم الكبار تزيدهم أشرًا وبطرًا.

كما قال قارون –لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة– قال: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾وقالها ذو القرنينهذا رحمة من ربي وانظر إلى عباد الله الصالحين، كيف لا يسندون ما يعملونه إلى أنفسهم، ولكنهم يسندونه إلى الله وإلى فضله[41]).

قال ابن القيم: (وكذلك حقيقته في العبودية وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده : ثناء واعترافا وعلى قلبه :

شهودا ومحبة وعلى جوارحه : انقيادا وطاعة و الشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور وحبه له واعترافه بنعمته وثناؤه عليه بها وأن لا يستعملها فيما يكره فهذه الخمس : هي أساس الشكر وبناؤه عليها فمتى عدم منها واحدة : اختل من قواعد الشكر قاعدة وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور [42]).

لقد وقف ذو القرنين أمام هذا العمل العظيم، مظهرًا الشكر لله- تعالى-، والعجز أمام قدرته- عز وجل- شأن الحكام الصادقين في إيمانهم، الشاكرين لخالقهم توفيقه إياهم لكل خير. وقف ليقول بكل تواضع وخضوع لخالقه "هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي. أي: هذا الذي فعلته من بناء السد وغيره، أثر من آثار رحمة ربي التي وسعت كل شيء[43] .

ج. عدم الاغترار بالعمل: فمهما قدم الإنسان فسيظل ناقصًا قاصرًا، له نهاية ؛ ولذا حكى القرآن الكريم عن ذي القرنين بعد انتهائه من بناء السد بالرغم أنه حقق الغاية بمنع يأجوج ومأجوج ، لكنه أعاد نهايته لله رب العالمين فقال :﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ الكهف: 98.

هكذا قال ذو القرنين (نطقاً بالحكمة لأنه يعلم أن كل حادث صائر إلى زوال. ولأنه علم أن عملاً عظيماً مثل ذلك يحتاج إلى التعهد والمحافظة عليه من الانهدام، وعلم أنّ ذلك لا يتسنى في بعض أزمان انحطاط المملكة الذي لا محيص منه لكلّ ذي سلطان.)[44].

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ تذييل للعلم بأنه لا بد له من أجل ينتهي إليه لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ﴾ الرَّعْد: 38، ﴿ولِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ يُونُس: 49، أي وكان تأجيل الله الأشياء حقاً ثابتاً لا يتخلف. وهذه الجملة بعمومها وما فيها من حكمة كانت تذييلاً بديعاً.[45]

د. ربط عاقبة الأمور بالدار الآخرة: التفاضل في الدنيا ورفع بعض الناس على بعض في الرزق والمكانة الدنيوية ، كلها من حكم الله التي لا يعرفها غيره، وليس في التخصيص الدنيوي مزيد فضل أخروي؛ لأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، لكن العاقبة هي الأخرى، ما فيها خير وأبقى للمؤمن، والحسرة الكاملة على التفريط للكافر، ولذا مهما يصيب الإنسان أو يناله من خيرها فلا يساوي شيئا، قال تعالى حاكيا عن ذي القرنين ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً ﴾ أَيْ: شَدِيدًا بَلِيغًا وَجِيعًا أَلِيمًا. وَفِيهِ إِثْبَاتُ الْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ.[46]

ثانيًا: الأثر الدعوي والتربوي: ويقصد به: النتيجة الحاصلة من قصة ذي القرنين في مجال الدعوة والتربية، والتي يجب أن يستفيد منها الدعاة والمربون في تعاملهم مع واقع المدعوين .

احتوت القصة من خلال الركائز والمنطلقات التي تعاملت بها مع الواقع على آثار دعوية وتربوية نجملها في الآتي:

أ. مراتب تغيير المنكر وفقاً للقدرة: فذو القرنين لما يملك من سلطان وقوة ، قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد كما قال ﷺ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)[47]، فهذا الإنكار هو أقوى درجات الإنكار؛ لأنه إزالة للمنكر بالكلية وزجرٌ عنه، ولا يكون هذا التغيير ممن لا يملك سلطةً، إذ قد ينكر منكرًا، فيقع فيما هو أنكر، وليس ذلك من الحكمة، وقد علَّق الإنكار باليد على الاستطاعة، وهذه الدرجة الأولى لولي الأمر في الولاية العامة والخاصَّة.

فسلوك ذي القرنين في تغييره المنكرات والوقوف أمام المفاسد والمظالم، قائم على الحفظ والصون وتحقيق الأمن النفسي والحسي للمجتمع بالمحافظة على حقوقه، والانتصار من الظلمة والمجرمين، فتحقق في الواقع إقامة شعائر الله ابتغاء مرضاته، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ الحج: 41.ولذا على الدعاة في تعاملهم مع الواقع إدراك حقيقة قدراتهم ، وأثر استخدام الأسلوب المناسب في التغيير ، فربما يستخدم الدعاة أسلوبًا أو طريقة تحول المنكر إلى أنكر منه أو أكثر ضررا ، وأشمل انتشارًا خصوصًا مع الواقع الذي نعيشه وما نشهده من تقدم تقني مذهل ، يسهم في انتشار الأخبار وصنع الهالة حولها .

ب. أخذ العبرة والعظة: لم يذكر القرآن الكريم القصص للتسلي بل لأخذ العبرة، وعدم تكرار نفس الخطأ، أو الاستفادة من التجارب والأحداث، ومهما تغير الواقع ستظل أصول القضايا في الخير أو الشر واحدة، ولذا قال تعالى: ﴿ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ الكهف: 83، فجعل قصة ذي القرنين ذكرًا، والذكر ضد النسيان، وحتى تظل الصورة شاخصة بينة لا تنسى.

قال السعدي:(فيه نبأ مفيد، وخطاب عجيب. أي: سأتلو عليكم من أحواله، ما يتذكر فيه، ويكون عبرة، وأما ما سوى ذلك من أحواله فلم يتله عليهم[48]).

فالقرآن لا يهتم بالتفاصيل والأحداث التي لا تفيد واقع الناس، بل كثرة التفاصيل تشغل البال، وتضيع المقصود والغاية، ولذا فهو يقدم ما فيه العبرة وأصل الموضوع والقضية في كل قصة يوردها ، وعلى هذا فإن مما يجب على الدعاة عدم إشغال الناس في تفاصيل مملة، وقضايا لا مستند لها، ومعارك تدار على مسائل تحتمل الخلاف ووجهة النظر الأخرى، فتضيع أصول القضايا التي تجمع الناس وتدفعهم نحو الغاية الواحدة .

ج. سمو الهدف يقوي العزيمة: فكلما أدرك الإنسان غايته وهدفه، هان عليه كل ما يبذله في سبيل الوصول إلى تحقيقه ، ولم تكن العوائق أمامه إلا جسورًا للوصول إلى الغاية النبيلة ، وأعظم غاية يبحث عنها المسلم هي أن يرضى الله عنه، فذو القرنين بلغ المشارق والمغارب داعية ومصلحا وآمرًا وناهيًا ، فلم يعقه وعورة الطريق ولا بعد المسافات ، ولا طغيان الأقوام التي واجهها، ولا عجز الآخرين وضعفهم وجهلهم، بل أخذ بأيديهم وساعدهم في حمايتهم .

لقد وصف الله قوم ما بين السدين بقوله: ﴿ قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾ الكهف: 93، أي: لا يعرفون الكلام، ولا يفقهون القول؛ لأن الذي يقدر أن يفهم يقدر أن يتكلم، وهؤلاء لا يقولون كلاماً، ولا يفهمون ما يقال لهم، ومعنى: (لاَّ يَكَادُونَ) الكهف: 93. لا يقربون من أن يفهموا، فلا ينفي عنهم الفَهْم، بل مجرد القُرْب من الفهم، وكأنه لا أملَ في أن يفهمهم.

لكن، كيف نفى عنهم الكلام، ثم قال بعدها مباشرة: ﴿قَالُواْ ياذا القرنين ﴾ الكهف: 94. فأثبت لهم القول؟

يبدو أنه خاطبهم بلغة الإشارة، واحتال على أن يجعلَ من حركاتهم كلامًا يفهمه وينفذ لهم ما يريدون، ولا شكَّ أن هذه العملية احتاجت منه جهداً وصبراً حتى يُفهمهم ويفهم منهم، وإلا فقد كان في وُسْعه أنْ ينصرف عنهم بحجة أنهم لا يتكلمون ولا يتفاهمون، فهو مثال للرجل المؤمن الحريص على عمل الخير، الذي لا يألو جَهْداً في نَفْع القوم وهدايتهم.

والإشارة أصبحت الآن لغة مشهورة ومعروفة، ولها قواعد ودارسون يتفاهمون بها، كما نتفاهم نحن الآن مع الأخرس[49] .

أما اجتياز المسافات فتأمل قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾ الكهف: 86. ثم قال عنه: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ الكهف: 90. ثم قال: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ الكهف: 93 .

فلم يرض بمنزلة دنية ولا بمكان من دون آخر، بل سعى وجدّ واجتهد حتى بلغ حيث انتهت طاقته و قدرته، ولم يقف عند حد، بل سعى في الأرض حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار بجيوشه حتى بلغ مشرقها ،ثم أتبع سببا حتى بلغ بين السدين، وتملّك تلك المناطق كلها حتى حكم فيها، وأثّر بفكره ومبادئه في أهلها ،فأصبح لأهل الأرض أملا، وملجأ للمظلومين، ومأمنا للخائفين.

بهذا يبني ذو القرنين في عقولنا فقها للتعامل مع الواقع بنفس عالية ووعي مدرك، والوصول إلى مفاصل التغيير والتأثير هي صورة المؤمن القوي ويحطم في المقابل صور الركون والعجز والتسويف التي تغلغلت في قلوب كثير ممن ضعفت همتهم وخارت عزائمهم فينتظروا النصر وهم قعود ، ويحلمون بالتمكين ولم يسلكوا مسالكه أو يتبعوا سننه ويبذلوا أسبابه.

د.غرس بذور الخير في كل مكان: فالمؤمن كالغيث أينما وقع نفع ، فهو حريص على الدعوة إلى الخير ، والعمل على إسعاد الناس والسعي في خدمتهم ،من دون انتظار جزاء أو شكورًا منهم ، بل لديه الغاية واضحة كما قال ذو القرنين: ﴿ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي ما بسطه الله تعالى لي من القدرة والملك خير من خرجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، أي بالرجال وعمل الأبدان والآلة التي أبني بها السد (الردم).وهذا بداية النجاح في العمل، فإن القوم لو جمعوا له خرجًا، لم يعنه أحد، ولتركوه يبني، فكان عونهم أسرع في إنجاز العمل وإنجاح المشروع[50] .

فالداعية صاحب هم وهمة ، فدفن منابع الفساد ، ونشر الخير وتعزيز الحق ، خير يبقى نفعه وأثره لصاحبه في حياته وبعد مماته، بغض النظر عن المكان الذي غرسه ؛ ولذا فما عمله ذو القرنين وقى البشرية فساد يأجوج ومأجوج الآف السنين بسبب السد الذي أقامه.

ونحن بحاجة الآن إلى إقامة عشرات السدود أمام أنواع وألوان الفساد والظلم والطغيان المنتشر في واقعنا ، لنحافظ على مجتمعاتنا من الغرق في بحور المنكرات وظلمات الأهواء والشهوات ، وندافع الشر بالخير لمحقه وإزهاقه .

هـ.مشاركة المتعلمين المهارة: فالقوم الذين تأذوا من يأجوج ومأجوج، لم يمتهنوا أنفسهم بمطالبة ذي القرنين بأن يقوم لهم بعمل كهذا؟ ، بل ظهروا أمامه بمظهر العزة وإن كانوا ضعفاء عاجزين أمام يأجوج ومأجوج ، فعرضوا الأجر مقابل عمل ذي القرنين؛ فقالوا كما حكى الله عنهم: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي جُعْلا ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾.

ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بناء السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرة، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح؛ فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ،أي: مانعا من عبورهم عليكم[51] .

والأثر التربوي الذي يمكن أن يستفاد منه ، أن الأعمال في الأصل مقابل الأجور ، فلا يجوز امتهان الناس أو التذلل لهم ، والأمر الثاني: تعليم الناس كيف يسهمون في حل مشاكلهم ، ويشاركون في مواجهة الأخطار والبحث عن حلولها .

إذا أردت الإعانة فعليك أن تُعين معونة لا تحوج الذي تعينه إلى أن تُعينه كل وقت، بل أعنه إعانة تغنيه أن يحتاج إلى المعونة فيما بعد، كأن تعلّمه أنْ يعمل بنفسه بدلًا أنْ تعطيه مثلاً مالاً ينفقه في يومه وساعته ثم يعود محتاجاً؛ لذلك يقولون: لا تُعطِني سمكة، ولكن علِّمني كيف أصطاد، وهكذا تكون الإعانة مستمرة دائمة، لها نَفَس، ولها عُمْر[52].

ففي إشراكهم في العمل تمرين وتدريب لهم، وأيضا ليكونوا جزءا من عملية البناء فيستشعروا المسؤولية والملكية في الوقت نفسه، فيداوموا بالمحافظة عليه وصيانته، ولذا طلب منهم ذو القرنين أن يعينوه بقوة كما قال تعالى عنه: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ الكهف: 95.

قال القرطبي:(في هذه الآية دليل على أن الملك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم ، وسد فرجتهم ، وإصلاح ثغورهم ، من أموالهم التي تفيء عليهم ، وحقوقهم التي تجمعها خزانتهم تحت يده ونظره ، حتى لو أكلتها الحقوق ، وأنفذتها المؤن ، لكان عليهم جبر ذلك من أموالهم ، وعليه حسن النظر لهم ؛ وذلك بثلاثة شروط : الأول : ألا يستأثر عليهم بشيء . الثاني : أن يبدأ بأهل الحاجة فيعينهم. الثالث: أن يسوي في العطاء بينهم على قدر منازلهم ، فإذا فنيت بعد هذا وبقيت صفرا فأطلعت الحوادث أمرا بذلوا أنفسهم قبل أموالهم ، فإن لم يغن ذلك فأموالهم تؤخذ منهم على تقدير ، وتصريف بتدبير ؛ فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال في أن يكف عنهم ما يحذرونه من عادية يأجوج ومأجوج قال : لست أحتاج إليه وإنما أحتاج إليكم فأعينوني بقوة أي اخدموا بأنفسكم معي ، فإن الأموال عندي والرجال عندكم ، ورأى أن الأموال لا تغني عنهم ، فإنه إن أخذها أجرة نقص ذلك مما يحتاج إليه ، فيعود بالأجر عليهم ، فكان التطوع بخدمة الأبدان أولى . وضابط الأمر أنه لا يحل مال أحد إلا لضرورة تعرض ، فيؤخذ ذلك المال جهرا لا سرا ، وينفق بالعدل لا بالاستئثار ، وبرأي الجماعة لا بالاستبداد بالأمر . والله – تعالى – الموفق للصواب). [53]

النتائج والتوصيات

وختاماً: نحمد الله أولاً وآخراً، على تيسيره وعونه ، فهو صاحب الفضل والجود والكرم، كما تُلخص أهم نتائج البحث وتوصياته فيما يأتي:

أولا : النتائج:

1- **يقصد بفقه الواقع:** الفهم العميق لما تدور عليه حياة الناس في جميع المجالات، بكل مظاهرها وظواهرها وأعراضها وطوارئها والتعامل معها وفقًا لذلك .

2-**قصة ذي القرنين:** من القصص القرآنية الجامعة في شتى مجالات الحياة للحاكم والمحكوم، ومثالا عمليا يوم أن يسود أصحاب الحق والعدل.

3-أسلوب القرآن الكريم في عرضه للقضايا والأحداث، يركز على المضمون والجوهر، ويترك الأسماء والألقاب والمتعلقات الشخصية؛ لأنها ليست أساسا لتحقيق العبرة والعظة إلا ما كان فيه مصلحة .

4-القصص القرآني أنموذج عملي للتعامل مع الواقع في وقته وزمانه، وهو في الوقت نفسه تجربة بشرية يتوارثها الأجيال ، لينتفعوا بها ، فمهما تغير الزمان بأدواته إلا

أن أصول القضايا ، وطبائع البشر ولا تختلف ولن تتغير.

5-نلحظ نظرة القرآن الكريم إلى الواقع واهتمامه به من خلال تشريع الأحكام بناء على واقع المكلف و اختيار الأنبياء والرسل من بيئة المخاطبين و معالجة كل نبي لقضية واقعية في قومه، و التذكير بعاقبة الأمم السابقة.

6-تتمثل ركائز فقه التعامل مع الواقع من خلال قصة ذي القرنين في إدراك البيئة و الطبيعة الجغرافية و فقه الحركة الاجتماعية ،و معرفة طبيعة النفس البشرية و التزود بالمعرفة والأخذ بالأسباب .

7-الأثر العقدي لقصة ذي القرنين: ما تركته القصة في مجال الإيمان والعقيدة، من نتيجة على القلوب والنفوس ، وما نمّت من عميق الإيمان بالله في نفوس المخاطبين نحو استشعار إحاطة الله بكل شيء، و الإقرار بنعمة الله وفضله و عدم الاغترار بالعمل .

8-الأثر الدعوي والتربوي للقصة: النتيجة الحاصلة من قصة ذي القرنين في مجال الدعوة والتربية، التي يجب أن يستفيد منها الدعاة والمربون في تعاملهم مع واقع المدعوين، نحوفقه مراتب تغيير المنكر، و أخذ العبرة والعظة، و سمو الهدف وصدق العزيمة ، و غرس بذور الخير في كل مكان، و مشاركة المتعلمين المهارة.

ثانيا: التوصيات: في ضوء مضامين البحث ونتائجه يوصي الباحث بما يأتي:

1-يوصي القائمين على المؤسسات التعليمية بربط المعرفة بالواقع إذ هي أعمق أثرًا، وأكثر تصديقًا ، وأنفع من التنظير بدون تطبيق، أو قول بلا عمل.

2- يوصي الباحثين بمزيد من البحوث عن القصص القرآني ونظرية القرآن الكريم في التعامل مع الواقع والتفقه فيه ، ومعرفة طبائع الناس ، وعلاقة المتغيرات الطبيعية والتكنلوجية بها.

3-إقامة مراكز بحوث في الجامعات والمؤسسات المهتمة بالدراسات الاجتماعية، تهتم بقضايا الواقع والتعامل معه ومعرفة متغيراته، وتقديم الاستشارات المعرفية لمؤسسات الدولة والمجتمع.

المصادر والمراجع

1- البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري ، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق، مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي)الطبعة :الأولى، 1422هـ.

2- أحمد بوعود، فقه الواقع أصول وضوابط، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2006.

3- أحمد بن مُحَمَّد الشرقاوي، التفسير الموضوعي لسورة الكهف، الناشر، جامعة الشارقة. سنة النشر، 2007م 1428هـ.

4- ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ، 1988م.

5- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر : التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع ،د، ت.

6- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد، مقاصد الشريعة الإسلامية ،المحقق: مُحَمَّد الحبيب ابن الخوجة الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر عام النشر: 1425 هـ - 2004 م.

7- ابن فارس أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م.

8- ابن القيم، الإمام مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ،إعلام الموقعين ، تحقيق

بشير عيون ، طبع ونشر مكتبة دار البيان بدمشق ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ.

9- ابن العربي، مُحَمَّد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، حكام القرآن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، 1424 هـ.

10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم ، المحقق: مُحَمَّد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى .

11- أبو زهرة، مُحَمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، **زهرة التفاسير**، دار النشر: دار الفكر العربي.

12- حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي، النشر : القاهرة : عالم الكتب ، 1984 الطبعة : 5.

13- حسن الترابي، تجديد الفكر الإسلامي، دار الفكر، الخرطوم، ط: 1، 1980م.

14- الخطيب، عبدالكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة.

15- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، بيروت: دار المعرفة، ط1، 1998.

16- الزحيلي، وهبة بن مصطفى ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، دمشق. الطبعة: الثانية، 1418 هـ.

17- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،،تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى 140هـ-2000م..

18- الشاطبي، الموافقات، الموافقات ،إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الشاطبي الغرناطي أبو إسحاق، المحقق: مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان.

19- صلاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، الطبعة الخامسة . 1428هـ-2007م. دار النشر:دار القلم بدمشق .

20- طنطاوي، سيد، التفسير الوسيط، لناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى.

21- القاسمي، : مُحَمَّد جمال الدين ، محاسن التأويل، المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، سنة النشر1975م 1376هـ.

22- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق الناشر: عالم الكتب الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

23- القرضاوي ،يوسف، الخصائص العام للإسلام الطبعة الثانية. بلد النشر. لبنان. نوع الوعاء. كتاب. دار النشر. مؤسسة الرسالة..

24- القرطبي، أبو عبدالله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة ،ط2006،1م.

25- عبدالرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد الناشر: دار **الأدب** الإسلامي – القاهرة الطبعة: الخامسة 1425 – 2004.

26- عبدالمجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، دار النشر : المعهد العالمي للفكر الإسلامي. سنة النشر : 1993.

27- عبدالمجيد النجار ، في فقه التدين، الناشر :مؤسسة أخبار اليوم – قطاع الثقافة .

28- عبد المجيد السوسوة الشرفي، الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة ، (كتاب الأمة ، 62) ، ط 1 ، 1418 هـ / 1998 م.

29- عبد الواحد القاضي، الإسلام والبيئة، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

30- عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع، الطبعة الثالثة. الناشر، أبو ظبي : مركز الموطأ للدراسات والتعليم.

31- علي عبد الواحد وافي، الوراثة والبيئة، ط2، 1970، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

32- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

33- مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،المعجم الوسيط ، الطبعة الخامسة عام 2011.

34- مُحَمَّد كامل عويضة، علم النفس الاجتماعي، مراجعة مُحَمَّد رجب البيومي، ط1، 1996، دار الكتب العلمية .

35- منصور زويد المطيري، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع ، كتاب الأمة الثالث والثلاثون، في سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والمعلومات، بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة قطر.

36- نور الدين الخادمي ، الاجتهاد المقاصدي، سلسلة : كتاب الأمة – العدد 65 الناشر :وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية القطرية.

والحمد لله رب العالمين .

الهوامش

1-ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مادة فقه ، والمعجم الوسيط ، مادة فقه .

2- مسند الإمام أحمد 4/ 225 رقم 2397، 5/ 65 رقم 2879، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم 2589.

3-ينظرمجمع اللغة العربية بالقاهرة ،المعجم الوسيط ، الطبعة الخامسة عام 2011، مادة وقع.

4- عبدالرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد الناشر: دار الأدب الإسلامي – القاهرة الطبعة: الخامسة 1425 - 2004. ص18 .

5- القرضاوي ،يوسف، الخصائص العام للإسلام الطبعة الثانية، لبنان، دار النشر. مؤسسة الرسالة، ص158.

6- عبدالمجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، دار النشر : المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سنة النشر : 1993، ص112.

7- نور الدين الخادمي ، الاجتهاد المقاصدي، سلسلة : كتاب الأمة – العدد 65 الناشر :وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية القطرية، ،68/2.

9- عبدالمجيد النجار ، في فقه التدين، الناشر :مؤسسة أخبار اليوم – قطاع الثقافة،، 111/1.

10- القرضاوي ، أولويات الحركة الإسلامية، وهبة للنشر والتوزيع، ص26 .

11- عمر عبيد حسنه، عبد المجيد السوسوة الشرفي، الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، (كتاب الأمة ، 62) ، ط 1 ، 1418 هـ / 1998 م ، مقدمة الكتاب، ص 32.

12- أحمد بن مُحَمَّد الشرقاوي، التفسير الموضوعي لسورة الكهف، الناشر، جامعة الشارقة. سنة النشر، 2007م 1428هـ،، ص: 89. بتصرف .

13- ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر : التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع ،د، ت،16/ 18..

14- أبو زهرة، مُحَمَّد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، دار النشر: دار الفكر العربي.،9/ 4577.

15- أحمد بن مُحَمَّد الشرقاوي، مصدر سابق، ص: 90.

16- ينظر الزحيلي، وهبة بن مصطفى ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، دمشق. الطبعة: الثانية، 1418 هـ،18/12.

17- الزحيلي، مصدر سابق، 186/12.

18- ينظر: الزحيلي ، مصدر سابق، 96/4.

19- ينظر : ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد، مقاصد الشريعة الإسلامية ،المحقق: مُحَمَّد الحبيب ابن الخوجة الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر عام النشر: 1425 هـ - 2004 م، ص 102 وما بعدها ، والزحيلي، مصدر سابق 299/4.

20- ينظرمُحَمَّد كامل عويضة، علم النفس الاجتماعي، مراجعة مُحَمَّد رجب البيومي، ط1، 1996، دار الكتب العلمية ،ص167.

21- ينظر: عبد الواحد القاضي، الإسلام والبيئة، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.ص11-23 . علي عبد الواحد وافي، الوراثة والبيئة، ط2، 1970، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة،،ص87.

22- ينظر المصدران السابقان ص28 ،ص89 وما بعدها.

23- ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ، 1988م.ص، 68-88.

24-ينظر أحمد بوعود، فقه الواقع أصول وضوابط، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2006.، ص49 .

25- ينظرالمصدر نفسه ص50 .

26- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق الناشر: عالم الكتب الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ،1/ 177.

27- حامد زهران، علم النفس الاجتماعي، النشر : القاهرة، الطبعة الخامسة،، عالم الكتب ، 1984، ص50.

28- ابن القيم، الإمام مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية ،إعلام الموقعين ، تحقيق بشير عيون ، طبع ونشر مكتبة دار البيان بدمشق ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ.،1/ 69 .

29- عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، تنبيه المراجع على تأصيل فقه الواقع، الطبعة الثالثة. الناشر، أبو ظبي : مركز الموطأ للدراسات والتعليم، ص19 .

30- أخرجه أبو نعيم في الحلية 332/7، وهو في السلسلة الصحيحة برقم 1446.

31- ينظر الشاطبي، الموافقات، ،إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الشاطبي الغرناطي أبو إسحاق، المحقق: مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان.،25/2.

32-الحديث متفق عليه، وأخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ رقم (1358)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.. رقم (2658)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في ذراري المسلمين بلفظ: "كل مولود..." رقم (4714)، والترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة (2138).

33- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 4/ 613. والحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم 2865 .

34- حسن الترابي، تجديد الفكر الإسلامي، دار الفكر، الخرطوم، ط: 1، 1980م،ص28.

35- ينظرالقاسمي، : مُحَمَّد جمال الدين ، محاسن التأويل، المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، سنة النشر1957 : م / 1376هـ. ،7/ 67 .

36- ينظرالسعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،،تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى 140هـ-2000م..ص 485.

37- الخطيب، عبدالكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة، 8/ 703.

38- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم ، المحقق: مُحَمَّد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى. 5/ 194 .

39- صلاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، الطبعة الخامسة . 1428هـ-2007م. دار النشر:دار القلم بدمشق ،ص 53.

40-ابن كثير، المصدر السابق (5/ 196)، وانظر جامع البيان للطبري (15/ 403.

41- السعدي، مصدر سابق ،486 .

42- ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،2/ 234.

43- ينظر طنطاوي، سيد، التفسير الوسيط، لناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى، 8/ 575.

44- ابن عاشور، مصدر سابق،16/ 39.

45-ينظر المصدر نفسه،16/ 40.

46- ابن كثير، مصدر سابق، 5/ 193.

47- صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ، حديث رقم (178)ص (688.

48-السعدي، مصدر سابق ،485.

49- ينظرالشعرواي، مُحَمَّد متولي ، تفسير الشعراوي – الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم،1997 ،14/ 8988.

50-ينظر الزحيلي ، مصدر سابق،16/ 31.

51- ينظرالسعدي، مصدر سابق، ص: 486.

52- الشعراوي، مصدر سابق ،14/ 8990 .

53- القرطبي، أحكام القرآن ، 11/ 60.